شبهات حول مكانة المرأة في الإسلام

رشيد كهوس
كاتب إسلامي / عضو رابطة علماء المغرب
Rachid_11@maktoob.com

إن مما يحزّ في نفوسنا ما نسمعه ونقرأه من اتهامات صباح مساء يكتبها ويتفوّه بها بعض ضعاف النفوس الذين تربوا في أحضان الغرب يتهمون ديننا بأنه أهان المرأة ونقص من كرامتها، فوجهوا سهامهم الملوثة وأقلامهم المسمومة إلى ديننا الحنيف، فخاضوا مع الخائضين فضلوا وأضلوا، يظنون أنهم من أهل العلم وهم على طائفة من الجهل، فمن هنا بدأ الفساد يدب في جسد الأسرة المسلمة، بعدما أعجبوا بالحضارة الغربية المزيفة، التي تسعى إلى تفتيت الأسرة المسلمة لتصبح كالأنعام لا علاقة تربطها بربها، فتعيش الخراب والشقاء في الدنيا وفي الآخرة العذاب والخسران المبين.. فأصبحنا نقلدهم في كل ما يضر.. ونتبعهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى دخلنا معهم جحر الضب. وأمتاه أصبحت أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، الحرية تسمح للملاحدة بالطعن في كتاب الله تعالى وسنة نبيه، بينما يمثل الإيمان سبباً كافياً لأنواع البلايا والكروب؟ سبحان الله...!!!

إذا ضاع الإيمان فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحيى دينا
ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء له قرينا

إن المتأمل في آراء دعاة التغريب التي أتوا بها إلى المجتمع المسلم يتبين له أنهم لا يريدون أن تعيش الأسرة المسلمة آمنة مطمئنة، بل أرادوا لها مزيداً من الويلات والأزمات، فأنبتوا بذلك شجرة الزقوم التي أينعت فساداً وانحلالاً وتفسخاً، فكانوا بذلك حميماً وغساقاً على هذا المجتمع، وتناسوا قوله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (سورة طه:١٢٤-١٢٦). وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن هذا القرآن شافع مشفع، من اتبعه قاده إلى الجنة ومن أعرض عنه زجّ في قفاه على النار)(رواه البزار رحمه الله). وحسبنا قوله عليه الصلاة والسلام: (مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فكان بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً) (رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه / كتاب الشركة). فهذا الحديث الشريف ينطبق على واقعنا المعاش، فإن من أبناء جلدتنا اليوم من يحمل الفأس ويهدم صرح الإسلام، ويخرب المجتمع المسلم، وينهش في جسم الأمة بالمخلب والناب، يهدم الأخلاق الإسلامية والآداب الإسلامية بحجة التقدم والاقتداء بالغرب الصليبي الحاقد، ويعتبر الإسلام عقبة في طريق التطور والتقدم فوضعه في قفص الاتهام في ذمته وعلى مشجبه تعلق كل الجرائم والتهم والعيوب والعاهات. وطائفة أخرى لم تحمل الفأس لتشارك في الهدم لكنها تتفرج على هذا المشهد المروع الذي يدمي القلوب ويحزن النفوس. وكأن ما يقع للأمة فيلم من الأفلام أو مقابلة رياضية أو غير ذلك، سبحان الله!!! ألم يملوا دور المتفرج؟ أما آن الأوان ليخرجوا من قوقعتهم وينهضوا من كبوتهم؟! لكن لا حياة لمن تنادي، ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ (فاطر: ٢٢). وعلى مثلهم فلتبك النائحات لعلهم يستيقظون من سباتهم ويعرفوا وظيفتهم المنوطة بهم ﴿واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ (الأنفال:٢٥).

ومن لا يستطيع أن يغير المنكر فلا يرضى به ويغضب من أجله. وأي منكر أشد من هذه الحملات الشرسة على الأسرة المسلمة التي قادها الغرب الصليبي الحاقد ومن سار في ركابه من أذنابه -من بني جلدتنا- الذين يتبجحون ليل نهار بشعاراتهم الجوفاء وخطبهم الرنانة وخططهم الشيطانية الماكرة التي تخفي السم في الدسم. ومن ذلك (منع المحجبات من الدخول إلى المدارس بمجرد ستر هن عورة أمر الله بستر ها وأوصت الإباحية الصهيونية بكشفها، إضافة إلى بدع هذا الزمان التي دعوا إليها وعلى رأسها إمامة المرأة للرجال بدعة ما رأينا مثلها في التاريخ الإسلامي). ولقد نجح الأعداء قي زرع مثل هذه البذور الفاسدة المسمومة -التي سجلت أسماءها في مزبلة التاريخ- في جسم أمتنا المسلمة.. إنها سلسلة متصلة الحلقات تريد أن تخرج المرأة من دينها لتصبح بعيدة عن كتاب ربها وسنة نبيها المصطفى، ومن أمثال هذه البذور السامة: الطاهر الحداد الذي حمّل الإسلام مسؤولية انحطاط المرأة وسلّط جام غضبه على سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، ودعا في كتابه: (امرأتنا في الشريعة والمجتمع) إلى انسلاخ المرأة من دينها لتسير على خطى أعدائها هناك وتنزع كما نزعوا حجابها وتكشف عن مفاتنها لتصبح بذلك كالدواب لا علاقة تربطها بدينها، كما دعا هذا المارق إلى منع تعدد الزوجات والطلاق واحتج على ضآلة المرأة في الميراث وغير ذلك من الافتراءات والأغاليط والمتاهات التي لا نهاية لها، وقد قام مجموعة من العلماء برد هذه الافتراءات والشبهات وعلى رأس هؤلاء العلماء: الطاهر بن عاشور في كتابه: (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام)، والشيخ محمد الصالح بن مراد في كتابه: (الحداد على امرأة الحداد).

وإضافة إلى الحدّاد أذكر بورقيبة الذي دعا إلى تحرير المرأة من دينها، وترك الأمانة التي أمرت بحملها وراء ظهرها، فرفض الحجاب ومنع صيام شهر رمضان، وكان يفطر في رمضان علناً ويأمر بذلك، وبعد استقلال تونس سنة ١٩٥٦ أصدر هذا المتغرب حتى النخاع قانون حقوق المرأة الذي يُعدّ من أكثر قوانين الأحوال الشخصية في بلاد المسلمين جرأة على الشرع وهتكاً لحرمته وافتراءً عليه، فحرّم التعدد ورفض الحجاب وفوّض الطلاق

المتأمل في آراء دعاة التغريب يجدها لا تريد خيراً للمرأة؛ فهم يسعون إلى فرضها على الأسرة المسلمة قسراً وهذا ما يخالف ادعاءاتهم بالتحرر

أدعياء التحرر في مختلف البلدان العربية والإسلامية صادروا حقوق المرأة فمنعوا المحجبات من التعليم ودعوا إلى كشف العورات وغشيان أماكن الدعارة

للمحاكم، وحارب العفاف (وبكارة المرأة) وهلم جرا من المصائب والويلات... وأدهى من ذلك وأمر وأشد وأنكى سعى بورقيبة في تونس طولاً وعرضاً يصرخ ويشتم العلماء ويأمر المرأة أن تخرج من بيتها لتخالط الرجال في المصانع والمعامل تتلاعب بها الأيادي الآثمة والهمم الغدّارة تنتقل من حضن إلى حضن وتتعرض لاغتصاب واعتداء في وسط ذئاب لا يرعون لها إلاً ولا ذمة... وكل هذا من أجل ماذا؟ ليحظى (المجاهد الأكبر) كما يسمي نفسه بذلك بالقبول عند أسياده هناك -الغرب الصليبي الحاقد-.

كما ظهر في تركيا مصطفى كمال أتاتورك الطاغية الفتاك الذي شنّ حرباً دموية على العمامة والحجاب، والعفاف والنقاء، ودعا الناس إلى عبادة الغرب وحضارته ومغرياته، وحارب الدين وخرّب المساجد والمؤسسات الدينية، وحرّم اللغة العربية وفرض اللغة اللاتينية... فله الخزي في الدنيا والآخرة.

ومن أمثال هؤلاء الذي تأبّطوا شراً لإخوانهم وزرعوا الأشواك في طريقهم، قاسم أمين في كتابه: (تحرير المرأة) وكتابه: (المرأة الجديدة) وقد يطول القول وتبعد الشقة إذا بيّنا شبهاتهم وأكاذيبهم وتهمهم التي ألصقوها بالإسلام. وقد زلزل كتابه حوزة العلماء فقاموا في صف واحد بالرد على هذا المتغرب في مجموعة كتابات، وأذكر على سبيل المثال لا الحصر: عبد المجيد خيري: (الدفع المتين في الرد على حضرة قاسم أمين). ومحمد البولاقي: (الجليس الأنيس في التحذير عما في تحرير المرأة من التلبيس). إلى غير ذلك من الكتابات التي دافعت عن حظيرة المسلمين.

ولولا رجال مؤمنون لهدّمت ... صوامع دين الله من كل جانب

ومن أمثال هذا الزرع الفاسد الذين يريدون النيل من شريعة الإسلام رافع رفاعة الطهطاوي ويعتبر من الجيل المتغرب الأول، ومن أمثاله وأمثال أسلافه (الزعيم) سعد زغلول الذي حوّل فكرة السفور والتحرر من النظرية إلى التطبيق ١٩١٩سنة التي شاركت فيها المرأة المسلمة في محفل عام كشف الزعيم بيده حجاب المناضلة هُدى شعراوي التي تمثل رمز تحرير المرأة. وبعدها ظهرت أيادي آثمة عابثة بنصوص الشريعة من مثل ما نشاهد في المجتمعات الإسلامية من صحفيات وأستاذات وفنانات وطبيبات ومحاميات وحركات نسائية ومنظمات أنثوية تمردن على إسلام أمهاتهن المجاهدات الصالحات، وتمردن على شريعة الله.. فأصبح حديثهن عن الجنس والجنس الآخر، وكيف تحقق الأنثى إشباع رغباتها الجنسية، فهن ينبذن الإسلام ويرفضنه، ويعتنقن اللائكية التي حققت لهن مآربهن وما كنّ يطمحن إليه، فحللت لهن الاختلاط والمجون وغشيان أماكن الدعارة والفجور، والمعاشرة المحرمة والانتقال بين أحضان الذكور، ومزاحمة الرجال في المعامل والمصانع، وكشف عورتهن وإظهار مفاتنهن وضياع بكارتهن... إلخ.

وظهر في عصرنا الراهن دعاة التحرر أحفاد قاسم أمين وبورقيبة وأتاتورك، وعلى رأسهم نوال السعدواي المصرية في كتاباتها التي تخفي فيها السم في الدسم، وهي كتابات مليئة بالتهم والكلام البذيء حول الجنس والشهوة والغريزة، وأذكر على سبيل المثال، كتاب: (المرأة والجنس) و(الأنثى هي الأصل) وغيرها كثير. وقد جمعت جلّ كتبها في مجلد واحد في (٩١٨) تحت عنوان: (دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي). وعلى دربها سارت فاطمة المرنيسي المغربية رافعة صوتها بالتخلص من قيود الدين وضوابط الشرع، في كتابات باللغتين العربية والفرنسية، وأذكر على سبيل المثال كتاب: (فهل أنتم محصنون ضد الحريم) وغيرها من السموم... وأشد منهم جرأة الباحث السوري إبراهيم محمود في كتابه: (الضلع الأعوج) الذي سلط فيه جام غضبه على الكتاب والسنة، واستهزأ بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم... وغيرهم كثير.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم . ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم . فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم . ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم . أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم . ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم . ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم . إن الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله وشاقّوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم﴾. (محمد:٢٥-٣٢).

وفي الختام:

إنه مهما تطاول اللائكيون على نصوص ديننا الحنيف، فأفقهم مسدود ونهايتهم تعيسة وما خفي أعظم، انطلاقاً من القاعدة القرآنية التي تقول: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ (الرعد: ١٧). ﴿إن الذين يحادّون الله ورسوله أولئك في الأذلّين كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ (المجادلة:٢٠-٢١). ستصبح بإذن الله شعاراتهم المزركشة ودعايتهم الكاذبة وخططهم الجهنمية هباءً منثوراً وهشيماً تذروه الرياح، لكن هذا لا يتأتّى بالقعود والانتظار والأماني المعسولة والاستسلام للواقع، بل لابد من الأخذ بالأسباب والدفاع عن الحق وتوعية الأمة بحقها المهضوم، وتحذيرها من هذه البذور السامة لتستيقظ من سباتها وتنهض من كبوتها، والحق يؤخذ غلاباً والسماء لا تمطر ذهباً ولا فضة.

يا هذه الدنيا أصيخي واشهدي ... إنا بغير محمد لا نقتدي

واليوم والحمد لله رغم ما نراه من كيد الكائدين لهذا الدين بالليل والنهار، فإن الريح تهب في اتجاه العودة إلى الإسلام وإلى ذلك النبع الصافي الذي استقى منه ذلك النموذج الخالد جيل الصحابة رضوان الله عليهم. ولله درّ ابن خلدون رحمه الله القائل: (العرب بالإسلام كل شيء، والعرب بدون إسلام لا شيء).

الله أكبر إن دين محمد ... وكتابه أقوى وأقوم قيلاً

لا تذكروا الكتب السوالف عنده ... طلع الصباح فأطفئوا القنديلا

اللهم الطف بنا ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا برحمتك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)

(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)

(إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب).

لا إله إلا الله محمد رسول الله

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.